القرآن الكريم معجزة خالدة للرسول ﷺ

BY:

DR. ABBA BASHIR DANKELLORI

CENTRE FOR RESEARCH IN QUR'ANIC STUDIES

YOBE STATE UNIVERSITY, DAMATRU, NIGERIA

abbadankellori01@gmail.com.08036240806

AND

Dr. ABUBAKAR UMAR ISA

DEPARTMENT OF ISLAMIC STUDIES

UNIVERSITY OF MAIDUGURI

BORNO STATE, NIGERIA

umarisasmal@gmail.com

+2347033377347

+2348025627487

The Glorious Quran as the Eternal Miracle of the Prophet Muhammad peace be upon him.

The researchers found that the Glorious Quran remains the eternal miracle of our beloved Prophet Muhammad peace be upon him. The miracle lies within the pages of the Quran, containing in its depths news of the past, present, and future, as well various scientific discoveries which both human and jinn failed to reflect. Thus!, this research aims to highlight some of these miracles and bring attention to them in order to illuminate to optimal path for achieving one's goals here and attaining eternal in the hereafter. This will be done through inductive, analytical, and descriptive methods. The research covers definition of the Quran, the concept of miracle and its types, the difference between miracles and Qur'anic miraculous nature and highlight of some miracles of the Prophet Muhammad (peace be upon him) in order to elaborate on the Quran as the eternal miracle of the Prophet and its impact in guiding towards the achieving of eternal life.

المستخلص

توصل الباحثان إلى أن القرآن الكريم معجزة رسولنا الخالدة، الصالحة لكل زمان ومكان، وهذه المعجزة كامنة بين ضفتي المصحف الشريف، تحمل في طياته أخبار الماضي والحاضر والمستقبل، ومن شتى العلوم ما أعجز به الإنس والجن، فلذا يهدف هذا البحث إلى إبراز بعض هذه المعجزات والتنويه بها للتنوير إلى الطريق الأمثل لنيل المرام والفوز بسعادة الدارين، وذلك عبر المنهج الاستقرائي والتحليلي والوصفي. ويتضمن البحث تعريف القرآن الكريم، ومفهوم المعجزة وأنواعها، والفرق بين المعجزة والإعجاز القرآني، وذكر بعض معجزاته ﷺ كتمهيد لهذه المعجزة الخالدة ، ثم يُفصل القول فى الوجوه التى بها تحصل المعجزة القرآنية .

مقدمة

الحمد لله القائل: "قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن.." أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدا عبدالله ورسوله قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الغمة وفتح أعيناعميا وءاذانا صما وقلوبا غلقا، صلى الله عليه وعلى ءاله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا أبدا إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن الله سبحانه وتعالى جعل القرآن الكريم معجزة خالدة باقية للحبيب المصطفى صلوت ربي وسلامه عليه، وجعله دليلا على صدق نبوته حيث يتحدى به الإنس والجن، ولا يزال التحدى قائما إلى قيام الساعة. وهذه الورقة منقسمة إلى ثلاثة محاور:

المحور الأول: تعريف القرآن والمعجزة وأنواعها وشرائطها والفرق بين المعجزة والإعجاز

المحور الثاني: معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم

المحور الثالث: القرآن الكريم معجزة خالدة للرسول الله عليه وسلم

فا لله نسأل أن يتقبل هذا المجهود المتواضع خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به المسلمين، وأن يجعلنا أوفياء صادقين مخلصين في محبة المصطفى صلى الله عليه وسلم، فإنه ولي ذلك والقادر عليه.

المحور الأول: تعريف القرآن والمعجزة وأنواعها وشرائطها والفرق بين المعجزة والإعجاز

تعريف القرآن لغة واصطلاحا:

اختلف العلماء في بيان معنى (القرآن) على فريقين:

الفريق الأول: ذهبوا إلى أن لفظ القرآن مشتق، واختلفوا أيضا على قولين:

القول الأول: أنه مصدر مهموز، إلا أنهم اختلفوا في أصل اشتقاقه:

قيل: مأخوذ من (قرأ) بمعنى : ضم وجمع، ومنه قولهم: ما قرأت هذه الناقة سلى قط، وما قرأت جنينا قط: أي لم يضطم رحمها على ولد. وسمي قرآنا لأنه يجمع السور فيضمها، أو لجمعه الأحكام والقصص وغير ذلك. وقيل: مشتق من (القرء)، وهو بمعنى : الجمع، قال الزجاج: والقرء في اللغة : الجمع، وعن قطرب: يقال: قرأت القرآن: لفظت به مجموعا.

قيل: لا يكون القرآن و (قرأ) مادته بمعنى: جمع، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾ :١٧ فغاير بينهما.

وقيل: مشتق من (قرأ) يقال : قرأ قراءة وقرآنا، بمعنى: تلا، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾ القيامة:١٧ أي: جمعه وقراءته، ومنه قول حسان بن ثابت يرثي أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ورضوا عنه:

ضحوا بأشمط عنوان السجودبه يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

أي: وقراءة.[1]

القول الثاني: أنه مصدر غير مهموز، وقد اختلفوا في أصل اشتقاقة:

(1) ابن منظور، محمد بن مكرم، *لسان العرب*، ج1، ص123؛ ابن فارس، أحمد بن فارس، *مقاييس اللغة*، ج5، ص79؛ الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، *القاموس المحيط*، ص1461؛ الفراء، يحيى بن زياد، *معاني القرآن*، ج3، ص211.

قيل: مشتق من (القرى)، يقال: قريت الماء في المقراة: جمعته، وجمع القرية: قُرى، لاجتماع الناس فيها. قال السمين الحلبي: وهو غلط لأنهما مادتان متغايرتان.[2]

وقيل: مشتق من (قرنت الشيء بالشيء)، إذا ضممته إليه فسمي بذلك لقران السور والآيات والحروف فيه، ومنه قيل للجمع بين الحج والعمرة: قران، وإلى هذا المعنى ذهب أبو الحسن الأشعري.[3]

وقيل: مشتق من (القراين)، لأن الآيات منه يصدق بعضها بعضا، ويشابه بعضها بعضا، فهي حينئذ قراين[4].

قال الزجاج: وهذا القول سهو، والصحيح أن ترك الهمزة من باب التخفيف، ونقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها.[5]

الفريق الثاني: قالوا هو اسم غير مشتق، ولا مهموز، بل هو علم غير منقول، خاص بكتاب الله عز وجل، قال الإمام الشافعي، وقرأت القرآن على إسماعيل بن قسطنطين، وكان يقول: القرآن اسم وليس مهموزا، ولم يؤخذ من (قرأت) ، ولو أخذ من (قرأت) لكان كل ما قرئ قرآنا، ولكنه اسم للقرآن، مثل التوراة والإنجيل، تمهز قرأت، ولا تمهز القرآن، وقرأ به ابن كثير، وهو اختيار السيوطي.[6]

---

(2) ابن فارس، أحمد بن فارس، *مقاييس اللغة*، ج5، ص78؛
الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، *البرهان في علوم القرآن*، ج1، ص278؛
دخيل، دخيل بن عبد الله، *إقراء القرآن*، ص19.

(3) ابن منظور، محمد بن مكرم، *لسان العرب*، ج1، ص129؛ الأزهري، محمد بن أحمد، *تهذيب اللغة*، ج9، ص271؛ الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، *البرهان في علوم القرآن*، ج1، ص278.

(4) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، *البرهان في علوم القرآن*، ج1، ص278؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، *الإتقان في علوم القرآن*، ج1، ص133.

(5) المرجعان السابقان، ينظر :*البرهان في علوم القرآن*، *والإتقان في علوم القرآن*.

(6) ابن هشام، عبد الله بن يوسف، *أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك*، ج1، ص124؛ الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، *البرهان في علوم القرآن*، ج1، ص278؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، *الإتقان في علوم القرآن*، ج1، ص133؛ الأزهري، محمد بن أحمد، *تهذيب اللغة*، ج9، ص271؛ دخيل، دخيل بن عبد الله، *إقراء القرآن*، ص20–21.

الرأي المختار: القرآن مصدر مهموز مشتق من (قرأ) يقال: قرأ قراءة وقرآنا، بمعنى : تلا، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾ القيامة: ١٧أي : جمعه وقراءته، وإذا حذف همزة فإنما ذلك من أجل التخفيف، وهذا الاختيار استنادا إلى مورد اللغة، وقوانين الاشتقاق، وسالما من الاعتراضات الموجهة لغيره[7].

فالقرآن بمعنى المقروء، ثم غلب اسما على كلام الله تعالى المحفوظ بين دفتي المصحف.

أما القرآن في الاصطلاح:

فهو كلام الله تعالى المعجز المنزل بواسطة جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم، المحفوظ في الصدور، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر،المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس.[8]

تعريف المعجزة لغة واصطلاحا:

المعجزة في اللغة : اسم فاعل مشتق من الفعل الرباعي (أعجز)، ويعود أصلها إلى جذرها (ع ج ز) الذي يدل على القصور عن بلوغ المراد، وأعجزه الشيء: فاته وعجز عنه".وأعجزت فلانا أي جعلته عاجزا، والعجز ضد القدرة، والإعجاز مصدر لأعجز، واسم الفاعل (مُعجِز) بكسر الجيم، واسم المفعول (مُعجَز) بفتح الجيم، ومؤنثه مُعجِزة، مثل مؤمن ومؤمنة، لكن التاء هنا للمبالغة لا للتأنيث.[9]

أما المعجزة في الاصطلاح فتأتي على عدة تعريفات متقاربة:

منها "الأمر الخارق للعادة، المطابق للدعوى، المقرون بالتحدي، المتعذر على الخلق الإتيان بمثله".

ومنها "الأمر الخارق للعادة، الدال على تصرف ما وراء الطبيعة في عالم الطبيعة ونشأة المادة، لا بمعنى الأمر المبطل لضرورة العقل".

---

(7) دخيل، دخيل بن عبد الله، *إقراء القرآن*، ص17–19.

(8) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، *البحر المحيط*، ج2، ص178؛ القطان، مناع بن خليل، *مباحث في علوم القرآن*، ص21؛ دخيل، دخيل بن عبد الله، *إقراء القرآن*، ص22؛ الطيار، مساعد بن سليمان، *المحرر في علوم القرآن*، ص22.

(9) ابن منظور، محمد بن مكرم، *لسان العرب*، مادة "عجز"، ينظر: ج9 أو ما يناسب السياق.

ومنها "أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة "[10].

ومنها -لعله هو أفضل- "كل أمر خارق للعادة، إذا قرن بالتحدي، وسلم عن المعارضة، يظهره الله على يد أنبيائه، ليكون دليلاً على صدق رسالتهم".[11]وتعتبر المعجزة وسيلة لإثبات صحة الرسالة السماوية والتواصل مع البشر.

ثانيا: أنواع المعجزة

1. المعجزات الحسية: وهي المعجزات التي ترى بالعين أو تلمس بالحواس، مثل انشقاق القمر لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم.[12]
2. المعجزات المعنوية: وهي المعجزات التي تتعلق بالمعاني والدلالات، مثل القرآن الكريم الذي يعتبر معجزة في بلاغته وفصاحته.[13]

شرائط المعجزة

فالمعجزة-بملاحظة التعاريف-ينبغي توفرها على شروط، منها:

الأول: **أن تكون خارقة للعادة:** أي أن تكون أمرا غير مألوف ، ولايمكن للبشر القيام به بمفردهم[14]

ثانيا: **أن تكون على يد النبي أو الرسول:** كدليل على صدقه، ولا يشترط التصريح بالتحدي، بل يكفي قرائن الأحوال، مثل أن يقال له إن كنت نبيا فأظهر معجزاً ففعل.[15]

(10) القطان، مناع بن خليل، *مباحث في علوم القرآن*، ص265.
(11) الجبرين، عبد الله بن عبد الرحمن، *المعجزات النبوية*، ص23.
(12) المرجع نفسه، ص30.
(13) النجار، زغلول، *الإعجاز العلمي في القرآن الكريم*، ص45.
(14) أبو النور، محمد، *أصول الفقه الإسلامي*، ص123.
(15) البيومي، محمد رجب، *المعجزة والإعجاز*، ص20.

الثالث: **أن تكون دالة على صدق النبي أو الرسول** : أي أن تكون المعجزة دليلاً على صدق النبي أو الرسول ورسالته.[16]

الفرق بين الإعجاز والمعجزة

بما تقدم يتضح أن الإعجاز أعم من المعجزة، فالإعجاز تارة يكون بمعجزة مثل معجزة القرآن التي اشتملت على التحدي وسلمت من المعارضة ولم ولن يستطيع أحد أن يأتي بمثلها لا في وقت نزول القرآن ولا بعده. وتارة يكون الإعجاز بأمر خارق للعادة لكن في خصوص وقت ادعاء النبوة، كما في الإعجاز العلمي فهو إخبار عن حقائق علمية أو كونية وقت النبوة، ووجه الإعجاز في ذلك أن الناس آنذاك غير قادرين عادةً على إدراك تلك الحقائق بل يتعذر معرفتها، بينما نجد أن النبي الأمي كشف عن ذلك وهو يدل على قدرة خارقة ... تحدثت على لسانه، وقد اتضح فيما بعد للأجيال اللاحقة تلك الحقائق. أو الإعجاز التاريخي الذي هو إخبار عن مغيبات حصلت في وقت النبوة، وبانت حقيقتها فيما بعد. فلن يكن ذلك ممكناً أن يصدر من النبي الأمي لولا اتصاله بالوحى. وبالجملة يمكننا القول بأن "المعجزة: هي الأمر الخارق للعادة الذي يُظهره الله على يد نبي أو رسول. بينما "الإعجاز: هو مصدر الإعجاز، ويقصد به الأمر الذي يُعجز الناس عن الإتيان بمثله، مثل إعجاز القرآن الكريم في بلاغته وفصاحته.[17]

(16) الجبرين، عبد الله بن عبد الرحمن، *المعجزات النبوية*، ص35.

(17) النجار، زغلول، *الإعجاز العلمي في القرآن الكريم*، ص50.

المحور الثاني :معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم

إنَّ الحديث عن كون القرآن معجزةً خالدةً للنبي صلى الله عليه وسلم لا يُفهم على وجهه الكامل حتى يُنظر إلى من أُنزل عليه[18]، وهو سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ، ذلك النبي الذي كان ذاته آية، وسيرته معجزة، وخلقه برهانًا، وحاله دليلاً[19].

فلقد أيد الله أنبياءه بمعجزاتٍ تشهد بصدقهم وتقطع عذر منكرهم، وكان لكل نبي آية تناسب قومه وعصره. فموسى عليه السلام أُعطي العصا واليد، ليقهر بها سحر السحرة[20]، وعيسى عليه السلام أُعطي الشفاء ليُبهت أطباء عصره[21].

وأما سيدنا محمد ﷺ، خاتم النبيين وسيد المرسلين، فقد أيده الله بآياتٍ لا تُحصى، ومعجزاتٍ لا تُنكر، بلغت المئات، وكان منها ما رآه الناس وسمعوه، ومنها ما أدركوه بعقولهم، ومنها ما يتجدّد إلى يوم القيامة[22]، فإذا نظرت إلى معجزات الأنبياء، وجدتها تنتهي بانتهاء الزمان والمكان، لكن معجزته ﷺ باقية في كتابه، وسيرته، وأمته، ودعوته، وقلوب المؤمنين به، ولا تنحصر في النصوص فحسب، بل تمتد في شخص النبي وسيرته وتاريخه وأخباره، بل ربما يمكن و يصحّ أن يُقال: كل ما يتصل به ﷺ معجزة[23]. فعلى سبيل المثال:

---

(18) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، *الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح*، ج5، ص133.

(19) البيهقي، أحمد بن الحسين، *دلائل النبوة*، ج2، ص12.

(20) الطبري، محمد بن جرير، *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، ج9، ص76؛ ابن كثير، إسماعيل بن عمر، *تفسير القرآن العظيم*، ج3، ص307.

(21) القرطبي، محمد بن أحمد، *الجامع لأحكام القرآن*، ج4، ص104.

(22) البيهقي، أحمد بن الحسين، *دلائل النبوة*، ج1، ص3–10؛ ابن كثير، إسماعيل بن عمر، *البداية والنهاية*، ج6، ص166–190.

(23) الندوي، أبو الحسن علي، *الرسالة المحمدية*، ص87.

أولًا: شخصيته ﷺ

- نشأ ﷺ أميًّا، لم يقرأ كتابًا، ولم يجالس عالمًا، ولم يُعرف عنه الشعر ولا الخطابة، ثم جاء بكلامٍ أعجز العرب والعجم[24].
- نشأ ﷺ يتيمًا غير غنيّ، فعصمه الله من الرذائل، وربّاه وأدبه وأحسن تأديبه، فاشتهر في مكة بالصادق الأمين، حتى أودعوه أماناتهم، واحتكموا إليه قبل النبوة[25].
- أبى في شبابه ﷺ أن يحضر مجالس اللهو أو يعبد صنمًا، وحُبّب إليه الخلاء والتأمل، تمهيدًا لما سيُلقى إليه[26].
- كان ﷺ إذا رآه الناس، هابوه، وإذا عاشروه، أحبوه، وإذا خاصموه، احترموه[27].

ثانيًا: سيرته

- لم تُحفظ سيرة إنسان بتفاصيلها كماحُفظت سيرة النبي ﷺ. فقد نُقل لنا نسبه، ومولده، وصفته، ومشيه، وجلوسه، ونومه، وعبادته، وزواجه، وضحكه، وغضبه، وجهاده، وكل دقائق حياته[28].
- أجمعت الأمة على تدوين سيرته، وضبط أحاديثه، وتمييز الصحيح من الضعيف، فحُفظت بشهادة العدو قبل الصديق.
- بل يوجد في الأمة من أفنى عمره في جمع خصائص النبي، وأخلاقه، ومغازيه، وأقواله، وأفعاله، فكان هو ﷺ أوضح رجلٍ في التاريخ[29].

---

(24) الرافعي، مصطفى صادق، *إعجاز القرآن والبلاغة النبوية*، ص27–35.

(25) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، *البداية والنهاية*، ج3، ص337–340.

(26) البيهقي، أحمد بن الحسين، *دلائل النبوة*، ج2، ص126–128.

(27) الصالحي، محمد بن يوسف، *سبل الهدى والرشاد*، ج7، ص396.

(28) ينظر على سبيل المثال تاريخيًّا: ابن كثير، *البداية والنهاية*، ج3، ص: 336.

(29) حوى، سعيد، *الأساس في السنة وفقهها (السيرة النبوية)*، ج1، ص422.

ثالثًا: أخلاقه وسلوكه

- سُئلت عائشة عن خُلقه، فقالت: "كان خُلُقه القرآن"، فلا تجد في كتاب الله خلقًا فاضلًا إلا وقد جسّده ﷺ[30].
- لم يُؤثر عنه كذبة واحدة في الجاهلية، ولا في الإسلام، ولم يُعرف عنه غدر، ولا خيانة، ولا خسة، بل كان كريمًا حتى على من عاداه[31].
- في الحروب، كان من أشجع الناس[32]، ومن أرحمهم بالعدو إذا استسلم، كما في فتح مكة حيث عفا عن من سفكوا دماء أصحابه[33].
- أُحيط بالمؤامرات لقتله، سُمّ، وطُعن، وحُوصِر، وأُغرِي عليه السفهاء، وأدمي ...لكنه عفا...قائلا:"اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون[34].
- أعداؤه قبل أصحابه اعترفوا بصدقه، فقد قال أبو جهل: "إنا لا نكذبك، ولكن نكذب بما جئت به.[35]"

رابعًا: تأييد الله له في كل مراحل دعوته

- خرج وحده، بلا مال ولا سلاح، ولا دولة تحميه، فصار في حياته سيّد العرب والعجم، وبعد موته قاد أمته العالم[36].
- نُصِر بالرعب مسيرة شهر، ولم تُهزم له راية قط إلا كانت له العاقبة[37].
- دعا إلى الله سرًّا وجهرًا[38]، فآمن به من لا يُقنعه إلا الدليل، كالعقلاء من قريش، وكالأحباش، والفرس، والروم.

---

(30) البيهقي، أحمد بن الحسين، *دلائل النبوة*، ج1، ص10–11.
(31) ابن سعد، محمد بن سعد، *الطبقات الكبرى*، ج1، ص374.
(32) البيهقي، أحمد بن الحسين، *دلائل النبوة*، ج1، ص79–81.
(33) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، *البداية والنهاية*، ج4، ص47–48.
(34) الصالحي، محمد بن يوسف، *سبل الهدى والرشاد*، ج4، ص417.
(35) ابن حبان، محمد بن حبان، *الثقات*، ج1، ص107.
(36) ابن سعد، *الطبقات الكبرى*، ج1، ص: 284.
(37) البيهقي، *دلائل النبوة*، ج5، ص: 92.
(38) ابن كثير، *البداية والنهاية*، ج3، ص: 370–372.

وبهذا يتضح لك–أيها القارئ العزيز–أن كل ما يتصل به صلى الله عليه وسلم معجزة، لأن الإتيان به أوبمثله يعجز الخلائق أجمع أكتع، لكن المعجزة بمعناها الاصطلاحي تختصر في الحسية والمعنوية[39].

فأما معجزاته الحسيّة المتواترة عنه ﷺ فلقد شهد له أصحابه بآيات باهرة، منها ما نقلوه بالتواتر، ومنها ما ثبت بطرق صحيحة لا مجال لإنكارها، ومن ذلك[40]، [41]:

أن المياه تفجرت من بين أصابعه[42]،وانشق القمر بإشارته[43]،وحنّ الجذع لفراقه[44]،وسبّح الحصى في كفه[45]، وأخبر عن مستقبل الأمم[46]،واطّلع على الغيب، وسمع الصحابة الطعام يسبّح بين يديه[47].وشُفي

(39) الصالحي، *سبل الهدى والرشاد*، ج1، ص: 88.

(40) البيهقي، أحمد بن الحسين، *دلائل النبوة*، ج5، ص92.

(41) Maurice Bucaille, *The Bible, The Qur'an and Science*, pp. 109–113.

(42) البخاري، محمد بن إسماعيل، *صحيح البخاري*، حديث رقم 3576؛ مسلم، مسلم بن الحجاج، *صحيح مسلم*، حديث رقم 1856.

(43) البخاري، *صحيح البخاري*، حديث رقم 4864؛ ينظر: الرازي، فخر الدين، *مفاتيح الغيب*، تفسير سورة القمر: 1؛ ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، القمر: 1.

(44) البخاري، *صحيح البخاري*، حديث رقم 3584؛ أحمد بن حنبل، *المسند*، ج3، ص119.

(45) الطبراني، سليمان بن أحمد، *المعجم الأوسط*، ج5، ص34.

(46) أحمد بن حنبل، *المسند*، حديث رقم 23467، في حديث "لتفتحن القسطنطينية."

(47) البيهقي، أحمد بن الحسين، *دلائل النبوة*، ج6، ص120؛ ابن حجر، أحمد بن علي، *فتح الباري شرح صحيح البخاري*، ج6، ص579.

المريض بريقه[48]،وكلم الذراع[49]، وشهد له الحجر[50]،ونجا من مؤامرات القتل مرارًا[51]، وسار جيش تحت قيادته بلا ماء أيّامًا، فنبع الماء من كفه[52]، وهلم جرا.

فهذه شواهد حسية ثبتت بأسانيد متواترة أو صحيحة لا مطعن فيها، تُخيف المعاند، وتحير المفكر، وتُبهر من عقل عن التأمل لكن أعظم آياته وأبقاها وأوضحها برهانًا وأشدها سلطانًا هي القرآن الكريم[53]، معجزةٌ تتحدى الزمان والمكان، وتخاطب العقل والوجدان، باقيةٌ لا تفنى، حاضرةٌ لا تغيب، تُتلى بالأفواه، وتُحفظ بالقلوب، وتُفسّر بالعقول، وتُنزل السكينة في القلوب[54]. وكل معجزةٍ سواه مضت وانقضت، أما هذه، فشاهدةٌ قائمة لكل طالب حق، ومُنكر عقل، ومُفكر نزيه[55].

(48) البخاري، *صحيح البخاري*، كتاب المغازي، حديث رقم 4206.

(49) البخاري، *صحيح البخاري*، حديث رقم 5767.

(50) مسلم، *صحيح مسلم*، حديث رقم 2347.

(51) ابن هشام، عبد الملك، *السيرة النبوية*، ج2، ص149.

(52) البخاري، *صحيح البخاري*، حديث رقم 3576.

(53) الزركشي، بدر الدين، *البرهان في علوم القرآن*، ج1، ص82–88؛ السيوطي، جلال الدين، *الإتقان في علوم القرآن*، ج1، ص130؛ ابن عاشور، محمد الطاهر، *التحرير والتنوير*، مقدمة التفسير.

(54) الندوي، أبو الحسن علي، *النبوة والأنبياء*، ص173.

(55) البيهقي، *دلائل النبوة*، ج2، ص127.

المحور الثالث: القرآن الكريم معجزة خالدة للرسول الله عليه وسلم

قال الإمام البخاري رحمه الله:

حدثنا عبدالله بن يوسف، حدثنا الليث، حدثنا سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلى، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة"[56].

قال رئيس هيئة الإفتاء والمجلس الإسلامي النيجيري الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني شارحا لهذا الحديث: " وفي هذا الحديث فضيلة عظيمة للقرآن المجيد على كل معجزة أعطيها نبي من الأنبياء، وعلى كل كتاب أنزله، وذلك أن معنى الحديث: مامن نبى إلا أعطى من المعجزات ما آمن عليه البشر، أى : ما كان دليلاً على تصديقه فيما جاءهم به واتبعه من البشر، ثم لما مات الأنبياء لم تبق لهم معجزة بعدهم إلا ما يحكيه أتباعهم عما في زمانه، فأما الرسول الخاتم للرسالة محمد صلى الله عليه وسلم فإنما كان معظم ما أتاه الله وحيا منه إليه منقولا إلى الناس بالتواتر، ففي كل حين هو كما أنزل، فلهذا قال: " فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً."[57]

وفي هذا الشرح يدرك القاري أن الله سبحانه وتعالى أعطى كل رسول معجزة خاصة بقومه ولاتتعداهم إلى غيرهم، لكن معجزة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم التي هي القرآن، معجزة خالدة باقية مستمرة إلى يوم القيامة، ولم يزل يعطي لكل جيل معجزة جديدة[58]، بدْأ من العرب أرباب البلاغة والفصاحة، فتحداهم بأن يأتوا بمثله، أوبعشر سور منه، أو بسورة مثله، أو من مثله، أو بحديث مثله، وهكذا إلى قيام الساعة، فقد "جاءهم من الله ما لا قبل لأحد من البشر به من الكلام الفصيح البليغ الوجيز، المحتوي على علوم الكثيرة الصحيحة النافعة، والأخبار الصادقة عن الغيوب الماضية والآنية والأحكام العادلة والمحكمة."[59]

(56) البخاري، *صحيح البخاري*، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي.

(57) الحسيني، إبراهيم صالح (الشريف)، *الجواهر الحسان*، ص25.

(58) الزرقاني، محمد عبد العظيم، *مناهل العرفان في علوم القرآن*، ج1، ص235.

(59) المرجع نفسه، ص236.

فإن أردت –أيها القاري العزيز–أعظم دليل على صدق القرآن، فينظر: إلى من نزل عليه. وإن أردت أوضح دليل على صدق محمد، فاقرأ القرآن[60].

ولننظر الآن في القرآن لنستخرج وجوهًا خمسة بها ثبت القرآن أعظم معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبهرها وأخلدها، وهي:

1) الإعجاز البياني واللغوي في القرآن الكريم.
2) الإعجاز الغيبي والتاريخي في القرآن الكريم.
3) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.
4) الإعجاز في الحفظ الإلهي والتأثير الخالد للقرآن الكريم.
5) الإعجاز في النظام المتكامل والرؤية الكونية في القرآن الكريم.

الإعجاز البياني واللغوي في القرآن الكريم

إذا أردت رؤية وجه النبي الأعظم ﷺ في معجزته الخالدة، فانظر: إلى القرآن، كيف نطق به من لا يقرأ ولا يكتب[61]، وهو في بيئةٍ أمّية، فجاء بكلامٍ يسجد له البلغاء، ويعجز عن مجاراته الفصحاء، ويهتز له الوجدان وإن لم يفهم البيان[62]. إنه كلام رب العالمين، أُجري على لسان سيد المرسلين، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، ليكون آيته الكبرى، ودليله الأعظم، وحجته القائمة على الخلق إلى يوم الدين[63].

أولاً: خارقية البيان من جهة الأسلوب والمبنى

منذ فجر الإسلام، وقف أعلام اللغة من العرب الجاهليين في وجه النبي ﷺ، فلما سمعوا القرآن، لم يملكوا إلا الإذعان لروعة نظمه، ولو كفروا بمدلوله[64]. فهذا الوليد بن المغيرة، سيّد البلغاء، قال قولته المشهورة لما

---

(60) النجار، زغلول، *من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم*، ص22.

(61) ينظر: سورة الأعراف: 157.

(62) الزركشي، *البرهان في علوم القرآن*، ج1، ص82–88.

(63) الرازي، فخر الدين، *مفاتيح الغيب*، ج1، ص43.

(64) السيوطي، *الإتقان في علوم القرآن*، ج1، ص223.

سمع القرآن: «إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يُعلى عليه، وما هو بقول بشر»[65]، وقال عتبة بن ربيعة حين سمع سورة فصلت: «قد سمعتُ قول الشعراء، وما هو بقولهم، وسمعتُ الكهان، وما هو بقولهم»[66].

أُسس البلاغة من تشبيه واستعارة، وجناس وسجع، وإطناب وإيجاز، واستفهام وأمر، كلّها تتجلّى في القرآن، ولكن في صورة لا تُشبه صور البشر[67]. فهو يزاوج بين الإعجاز الفني والجمال التعبيري، وبين التناسق الصوتي والمعنى العالي، حتى إذا قرأه الإنسان شعر أن النفس تهتز، والعقل يتأمل، والوجدان يستكين[68].

لقد جاءت سورة الكوثر بثلاث آيات قصيرة، ومع ذلك ضمّت أسمى معاني العطاء، والتثبيت، والتحدي، والرد، بأسلوبٍ موجزٍ معجز: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ • فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ • إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [سورة الكوثر، الآية: 1 – 3]. وفي سورة مريم، تصويرٌ دقيقٌ للولادة في صمتٍ وانفراد، وجمال مشهدي يصوّر موقف مريم عليها السلام، وقد أجاءها المخاض إلى جذع النخلة، فسمعت نداءً من تحتها، في مشهدٍ يملؤه الطهر والجلال: ﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي...﴾ [سورة مريم، الآية 24].

ثانيًا: التفرد الأسلوبي الذي لا يُضاهى

القرآن ليس شعرًا ولا نثرًا، بل هو أسلوبٌ ثالثٌ مستقل، لا سابقة له، ولا لاحق يبلغه. قال ابن عطية: «القرآن مباين لسائر كلام العرب في نظمه وأسلوبه، وطرقه ومعانيه، ليس بشعر، ولا ككلام الكهّان، ولا كالمَسْجُوع،

(65) السيوطي، *الدر المنثور في التفسير بالمأثور*، ج8، ص430؛ ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، القلم: 15.

(66) الطبري، *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، ج24، ص63.

(67) الجرجاني، عبد القاهر، *دلائل الإعجاز*، ص118–130.

(68) السباعي، مصطفى، *روائع القرآن*، ص23.

بل هو نوع قائم بنفسه»[69] فهو يُدهش المتلقي بتنوع الإيقاع، وتلوّن العبارة، دون أن يخرج عن وحدة النسق[70] [71].

إنه يستعمل الكلمة في موضعها الأدق، حتى لا يُغني عنها غيرها، ويكرر الألفاظ في سياقاتٍ متباينة لتُفهم على درجاتٍ من المعنى، لا يتسنى لبشر أن يتحكم في ربطها على هذا النحو[72]، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: 94]، واختيار لفظ اصدع الذي يجمع بين الجهر، والقوة، والانقسام[73]. أو ينظر: إلى التكرار في: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: متكرر]، كيف يتكرر، لا على سبيل الملل، بل ليكون ترنيمًا يثبّت المعنى ويجذب القلب[74].

ثالثًا: التحدي القرآني الخالد

القرآن لم يكتفِ بأن يُظهر بلاغته، بل تحدّى العرب، أهل الفصاحة، في قمة مجدهم اللغوي، أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور، أو بسورة واحدة: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: 23]. وظل التحدي قائمًا، ولم يُستجب له[75]، رغم كفرهم وحرصهم على تكذيب النبي ﷺ. ولو كان ذلك ممكنًا، لفعلوه، ولجعلوه وسيلة للقضاء على دعوته[76].

---

(69) ابن عطية، عبد الحق، *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، ج1، ص32.

(70) النجار، زغلول، *الإعجاز العلمي في القرآن الكريم*، ص11.

(71) Kenneth Cragg, *The Event of the Qur'an*, pp. 65–70.

(72) ابن القيم، *الفوائد*، ص86.

(73) الجرجاني، عبد القاهر، *دلائل الإعجاز*، ص112.

(74) الرازي، *مفاتيح الغيب*، ج9، ص45–86.

(75) القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، ج2، ص25.

(76) الرازي، *مفاتيح الغيب*، ج1، ص45–60.

حتى المستشرقون منصفوهم اعترفوا بالعجز. قال المستشرق آرثر جيلمان: «القرآن كتابٌ لا يُمكن مضاهاته، وقد فشلت محاولات تقليده»[77]. وقال ريجيس بلاشير: «لم يعرف التاريخ نصًا دينيًا كان له مثل هذا الأثر في اللغة التي نزل بها كما فعل القرآن في اللغة العربية»[78].

رابعًا: الإيقاع الصوتي والتأثير الوجداني

القرآن إذا تُلي، تهاوت أمامه قلوب المؤمنين، وخشعت له النفوس، حتى لو لم تُفهم ألفاظه. إن تلاوته تُحدث رجّة في القلب، وسكينة في الروح. وهذا ما لا يُفسَّر بمجرد جمال الصوت، بل لأن كلماته نفسها تحمل طاقةً نورانية من عند الله، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر: 23].

وقد يدخل الناس الإسلام لمجرد سماع آية، كما أسلم الطفيل بن عمرو، وكان شاعرًا حكيمًا، لما سمع سورة الإخلاص[79]. وكم من معاصرٍ اليوم تاب، واهتدى، وخرّ باكيًا، لمجرد سماع تلاوة في مسجد أو عبر الإنترنت.

الإعجاز الغيبي والتاريخي في القرآن الكريم

إذا كان البيان المعجز للقرآن يشهد له بالعظمة في الظاهر، فإنَّ ما فيه من أخبار الغيب، وما انكشف من حقائق التاريخ، يشهد له بالعظمة في الباطن، ويثبت أن وراء هذا الكتاب علماً محيطًا، وإحاطةً لا تُنال ببشرٍ ولا تُكتسب بتجربة[80]. إنَّه كتابٌ لم يأتِ ليواكب الزمان فحسب، بل ليفتح أعين أهله على ما خفي

(77) Arthur Gilman, *The Saracens*, p. 34.

(78) Régis Blachère, *Le Coran*, p. 29.

(79) ابن هشام، عبد الملك، *السيرة النبوية*، ج2، ص114؛ الذهبي، شمس الدين، *سير أعلام النبلاء*، ج1، ص256.

(80) الزركشي، بدر الدين، *البرهان في علوم القرآن*، ج1، ص68؛ الرازي، *مفاتيح الغيب*، ج5، ص124.

من ماضيهم، وينذرهم بما هو كائنٌ في مستقبلهم، ويحدثهم بما لا سبيل للوصول إليه إلا من طريق الوحي الصادق.

أولًا: الإخبار بالغيب المستقبلي وتحقّقه الدقيق

لقد تضمَّن القرآن عشرات المواضع التي أخبر فيها بأمورٍ ستقع، وقد وقعت كما وردت، دون زيادة ولا نقصان، وفي توقيتها الذي حدده القرآن، مما لا يُفسَّر بعلم بشري، ولا يخضع لقانون الاحتمالات[81].
ومن أشهر هذه الأمثلة:

- **نبوءة انتصار الروم بعد هزيمتهم**: قال تعالى: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ * وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ [الروم: 2–4]. وقد هُزمت الإمبراطورية الرومانية على يد الفرس في معركة أنطاكية عام 614م، وكان ذلك ظاهرًا في الأرض المقدسة، أقرب مكان إلى جزيرة العرب. وبعد سبع سنوات، أي في حدود "بضع سنين" (التي تُفهم لغويًا على أنها أقل من عشر)، انتصر الروم في معركة نينوى سنة 622م، في نفس العام الذي هاجر فيه النبي ﷺ[82]. من كان يتنبأ بتغير موازين القوى في تلك العصور بهذه الدِّقَّة؟
- **الوعيد لوليد بن المغيرة والمهلكة**: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ... سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: 11–26]، وقد مات كافرًا كما توعّده القرآن[83].
- **الإخبار بعدم تمكّن الكفار من قتل النبي**: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: 67]، وقد نجا النبي ﷺ من أكثر من عشرة محاولات قتل، منها المؤامرة ليلة الهجرة، ووضع السم في الطعام، ومحاولة قتله بسقوط صخرة من السطح، وغيرها[84].
- **الإخبار بفتح مكة**: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [الفتح: 27]، وقد وقع ذلك في العام التالي للصلح، مع أنهم وقت نزول الآية كانوا ممنوعين من العمرة[85].

---

(81) الرافعي، مصطفى صادق، *إعجاز القرآن والبلاغة النبوية*، ص101.

(82) الطبري، محمد بن جرير، *جامع البيان*، ج21، ص6؛ ابن كثير، إسماعيل بن عمر، *تفسير القرآن العظيم*، ج3، ص431.

(83) ابن عاشور، محمد الطاهر، *التحرير والتنوير*، ج29، ص319.

(84) البيهقي، أحمد بن الحسين، *دلائل النبوة*، ج2، ص326؛ ابن هشام، *السيرة النبوية*، ج2، ص149.

(85) القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، ج16، ص304.

- **الإخبار بأن الكفار لن يستطيعوا الإتيان بمثله:** ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىأَ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [الإسراء: 88]، وها قد مضى أربعة عشر قرنًا، والتحدي قائم، والعجز ظاهر(86).

ثانيًا: الإخبار بالغيب الماضي مما لم يكن يعرفه قومه

أخبر القرآن عن أنباء الأمم السابقة(87)، وبيّن دقائق من سير الأنبياء وملوك القرون الأولى، مما لم يكن متداولًا بين العرب، ولم يكن للنبي ﷺ مصدرٌ يُستقى منه هذه المعلومات. ومن أمثلة ذلك:

- **قصة يوسف عليه السلام** بتفاصيلها النفسية والسياسية والاجتماعية، بدءًا من رؤياه، مرورًا بإخوته ومؤامرتهم، إلى دخوله السجن وتأويله للرؤى، ثم خروجه وتمكينه في الأرض. وفي آخر السورة يقول الله: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ [يوسف: 102]، تأكيدًا على مصدرها الإلهي(88).
- **قصة فرعون وموسى** بتفاصيل دقيقة، مثل أن فرعون قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾، ولم يقلها في التوراة. وكذلك قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [يونس: 92]، وقد اكتشف الباحثون الفرنسيون مومياء يُعتقد أنها لفرعون الغارق محفوظة، واكتُشف ذلك حديثًا، ليكون آية للناس كما وعد القرآن(89).
- **ذكر قوم عاد وثمود** الذين لم تكن آثارهم معروفة، ثم كُشفت في الربع الخالي شمال الجزيرة، في منطقة الأحقاف، وهي التسمية القرآنية نفسها(90).

---

(86) الزركشي، *البرهان في علوم القرآن*، ج2، ص208؛ السيوطي، جلال الدين، *الإتقان في علوم القرآن*، ج2، ص252.

(87) ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، ج3، ص120.

(88) الطبري، *جامع البيان*، ج12، ص114؛ ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، ج2، ص495.

(89) النجار، زغلول، *من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم*، ص124؛

Bucaille, *The Bible, The Qur'an and Science*, pp. 241–245

(90) *دائرة المعارف الإسلامية*، مادة: "الأحقاف."

- **ذكر تفاصيل دقيقة عن مريم عليها السلام**، وولادتها، ونشأتها، ودخولها المحراب، ورزقها، ومناداتها من تحتها، وهي تفاصيل لا توجد بهذا الترتيب الدقيق حتى في الأناجيل[91]، [92].

ثالثًا: الإحاطة بالقلوب والنوايا الغيبية

القرآن لم يقتصر على الإخبار عن وقائع، بل كشف نيات المنافقين[93]، وردّ عليهم قبل أن ينطقوا بها، وفضح ما تُخفي صدورهم، وهذا وجهٌ من الإعجاز لا يدركه إلا من تدبر بدقة. مثل قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: 167]، وقوله عنهم: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [البقرة: 10]، وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ [التوبة: 61]، وهم لم يُصرّحوا بذلك، إنما أُوحي به للنبي ﷺ[94].

رابعًا: تأكيد أمّية النبي ﷺ ونفي كل شبهة النقل

أكد القرآن أن النبي ﷺ لم يقرأ كتابًا قبل الوحي[95]، ولا تلقّى علمًا من أحد، ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت: 48]. ولو وُجد مصدر بشري واحد لَسَارَع أعداؤه إلى كشفه[96]. لكنه بقي يقول: "أُوحي إليّ"، وتحدى البشرية أن تُثبت غير ذلك.

الإعجاز العلمي والعقلي في القرآن الكريم

من خصائص القرآن التي تدهش العقول وتدهش الأفئدة، أن معانيه لا تنقضي، وآفاقه لا تنتهي، يَسبق العصور، ويخترق الحجب، ويفتح أبوابًا من المعرفة لم تكن لتُفتح لبشر أميّ في أمة أمية، لا تعرف الكتاب،

---

(91) القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، ج11، ص99.

(92) George Sale, *The Koran*, commentary on "Mary".

(93) القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، ج8، ص190.

(94) الرازي، *مفاتيح الغيب*، ج4، ص12؛ ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، ج3، ص93.

(95) دراز، محمد عبد الله، *النبأ العظيم*، ص73.

(96) ينظر: السيوطي، *الإتقان في علوم القرآن*، ج1، ص201.

ولا تدين للعلم طريقًا[97]. فكيف بأمّيٍّ من مكة، لم يُجالس فيلسوفًا، ولم يقرأ كتابًا، ولم يخُض في علم طبٍ أو فلكٍ أو أحياء، أن ينطق بنصوصٍ توافق أعظم ما بلغته الإنسانية في أعقد مجالات المعرفة الحديثة؟! إنه ليس إلا كلام من يعلم السر في السماوات والأرض، العليم الخبير[98].

أولًا: إشارات علمية لا يمكن أن تصدر عن بشرٍ في عصر النبوة

إن المتدبر في آيات القرآن على ضوء علم الحديث يدرك إشاراتٍ دقيقة، لم تكن مكشوفة في عصر نزول القرآن، بل بقيت خافية على العلماء قرونًا، حتى كشفتها أدوات العصر[99]. ومن ذلك:

١- نشأة الكون وتمدده

- قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء: 30]، وفيه إشارة إلى أصلٍ مشتركٍ للكون، وانفصالٍ مبدئي، وهو ما يُطابق نظرية الانفجار العظيم Big Bang) التي تؤكد –إن صحّت وصحّ التفسير– أن الكون كله كان كتلةً واحدة، ثم انفجرت فتكوّنت المجرات[100].

٢- أطوار الجنين وتخلّقه

- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً ... ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ [المؤمنون: 12–14].
- الترتيب الوارد في الآية يوافق ما أثبته علم الأجنة، من مرور الجنين بمراحل: النطفة، ثم التعلق بجدار الرحم، ثم التشكل شبه المضغي.

---

(97) الزرقاني، محمد عبد العظيم، *مناهل العرفان في علوم القرآن*، ج1، ص243.

(98) النجار، زغلول، *من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم*، ص11.

(99) المرجع السابق، ص65.

(100) تشير إلى أصل كوني واحد ثم انفصال، وهذا يوافق ما صاغه العلماء عام 1927 فيما عُرف بـ"نظرية الانفجار العظيم (Big Bang)، التي اكتشفها الراهب الفيزيائي جورج لومتر George Lemaître ، وأُكدت لاحقًا عبر صور الأقمار الاصطناعية كـ COBE و WMAP.

- هذه المعلومات لم تُعرف إلا بالمجهر في القرن العشرين، وقد شهد بذلك أطباء غربيون غير مسلمين، منهم الأستاذ كيث مور، أحد كبار علماء الأجنة في كندا.[101]

٣- علم البحار والمحيطات

- قال تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: 19–20]، أي إن التقاء البحرين لا يؤدي إلى امتزاج تام، بل بينهما حاجز طبيعي من الكثافة والحرارة والملوحة[102].
- لم تُكتشف هذه الظاهرة إلا بعد قرون، من خلال تحاليل كيميائية دقيقة لمياه المحيطات.
- وقال تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾ [النور: 40]، وقد بيّن العلماء اليوم أن في أعماق البحار موجات داخلية لا تُرى، فوقها موجات سطحية[103].

٤- الوظيفة الوقائية للغلاف الجوي

- قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: 32]، وقد أثبت العلم أن الغلاف الجوي يقي الأرض من الأشعة فوق البنفسجية القاتلة، ويمنع النيازك من اختراق الغلاف والاصطدام بالأرض[104].

---

(101) شهد الدكتور كيث مور (*Keith Moore* أستاذ التشريح بجامعة تورنتو) بعد دراسته لترتيب هذه الآيات بأنها تتوافق بدقة مع ما كشفه العلم الحديث باستخدام المجهر، وقد نشر ذلك في المؤتمر الطبي السعودي الأول بالرياض سنة 1982.

(102) تشير إلى عدم امتزاج المياه رغم التقائها، وهو ما اكتشفه فريق فرنسي بقيادة جاك كوستو *Jacques Cousteau* عام 1962 بعد تحاليل دقيقة في مضيق جبل طارق.

(103) وهي إشارة إلى الموجات الداخلية المكتشفة باستخدام السونار *(SONAR)* في منتصف القرن العشرين، وبيّنتها دراسات أكاديمية حديثة في جامعة ميامي لعلوم المحيطات.

(104) وهو ما فصّلته وكالة *NASA* عام 1985 في دور طبقة الأوزون في امتصاص الأشعة فوق البنفسجية، وأشارت إلى أن الغلاف الجوي يمنع نحو 90% من النيازك من اختراق الأرض.

٥ .الدورة المائية

- قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ [النور: 43]، و﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ [الروم: 48]، وهكذا وصف القرآن بدقة مراحل تكوّن السحاب، ثم نزول المطر، ثم الجريان في الأنهار، ثم عودته إلى السماء، وهي دورة الماء الحديث:

(Evaporation–Condensation–Precipitation–Collection).

٦ .البصمة الفردية

- قال تعالى: ﴿بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ [القيامة: 4]، أي إعادة خلق أطراف الأصابع، وهي تُشير إلى اختلاف البصمات، وهو علم لم يُكتشف إلا في القرن التاسع عشر[105].

ثانيًا: توافق القرآن مع العقل والفطرة

القرآن ليس كتابًا علميًا تجريبيًا، ولكنه كتابُ هدايةٍ، ومن دلائل صدقه، أنه يخاطب العقل بلغةٍ راقية، ويفتح له باب التأمل لا الإكراه[106]. فهو يدعو الإنسان للتفكر في خلقه، وفي السماء، والجبال، والأنهار، والنفس، والروح.

- يدعو إلى التدبر: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء: 82].
- يحث على النظر في الأنفس والآفاق: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت: 53].
- يدعو إلى نبذ التقليد الأعمى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: 23]، فيذمّ الاتباع بلا دليل.

---

(105) تشير إلى تفرد الأطراف، وهو ما اكتشفه السير ويليام هيرشل *Sir William Herschel* عام 1858، وأُسس عليه علم البصمات الجنائية الحديث في أوائل القرن العشرين.

(106) الغزالي، محمد، *فقه السيرة*، ص215.

ثالثًا: تحفيز العقل والمنهج العلمي

لقد وضع القرآن أُسس التفكير العلمي في آياته:

- **الملاحظة والتجربة**: قال تعالى: ﴿فَينظر:وا إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ﴾ [الروم: 50].
- **التحليل والقياس العقلي**: يدعو لتأمل النتائج وربطها بالمقدمات: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: 17].
- **تجربة الخطأ والصواب**: يشير إلى أن السنن الكونية تحكم العالم، وهي قابلة للرصد.

ولذا فإن المسلمين في العصور الأولى، لما قرؤوا القرآن بقلوب متدبرة، أسسوا علم الفلك، والطب، والبصريات، والجبر، والكيمياء، وكان منبع ذلك كله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: 1][107].

الحفظ الإلهي والتأثير الخالد للقرآن الكريم

ما من كتابٍ على ظهر الأرض حُفِظ كما حُفِظ القرآن، ولا نُقل كما نُقِل، ولا عاش في الصدور كما عاش، ولا أثر في النفوس كما أثّر[108]. هو الكتاب الوحيد الذي لم يتعرّض لأي تحريف أو زيادة أو نقصان، منذ أُنزل إلى اليوم، وسيبقى كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. إنه الكتاب الذي تكفّل الله بحفظه بنفسه، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9]، فكان وعدًا إلهيًا صريحًا لا يقبل التأويل[109].يُتلى في المساجد آناء الليل وأطراف النهار، في الخلوات والصلوات، في البيوت والمدارس والجامعات، في الأرياف والعواصم،كل عام يُخرّج آلاف الحُفّاظ الجدد في شتى البلدان، من مصر إلى إندونيسيا، من المغرب إلى السنغال، من تركيا إلى البوسنة، ومن الهند إلى أمريكا. فالقرآن لا يُتلى كما تُتلى

---

(107) وقد اعتمدت الحضارة الإسلامية على هذه الدعائم، فتأسست بها علوم الطب والفلك والرياضيات، كما فصّله George Sarton في كتابه *Introduction to the History of Science*، ج1، ص37–59.

(108) السيوطي، جلال الدين، *الإتقان في علوم القرآن*، ج1، ص100.

(109) قد أثبتت الدراسات الإحصائية المعاصرة أن عدد الحُفّاظ عبر العصور لم ينقطع، وأن آلاف الأطفال والبالغين يختمون حفظ القرآن في كل جيل، وهذا لا نظير له في أي نص ديني آخر. ينظر: زغلول النجار، *من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم*، ص65.

الكتب، بل يُتعبّد بتلاوته، وتُقام به الصلوات، وتُشفى به الصدور، ويُستفتح به المجالس، ويُختم به العمر[110]. كم من عاصٍ تاب بآية؟ وكم من كافر اهتدى بسورة؟ وكم من يائس أحيا قلبه صوت قارئٍ بآية الرحمة؟

النظام المتكامل والرؤية الكونية في القرآن الكريم

من دلائل ربانية القرآن أنه لا يقتصر على جانب الوعظ أو العقيدة، ولا يغرق في التشريع المجرد، ولا يتوغل في الروحانية المعزولة، بل يُقدّم منظومةً كونيةً كاملة، شاملة، مترابطة، تجمع بين الغيب والشهادة، بين الفرد والمجتمع، بين الدنيا والآخرة، وبين الحقوق والواجبات[111]، في توازنٍ معجز لا تبلغه عقول البشر، ولا تحققه دساتير الأرض ولا فلسفاتها، بل تنكسر فيه أقلام المشرّعين، وتتيه فيه مناهج المفكرين[112].

ما بين عقيدة نقية، وتشريع محكم، ونظام متوازن، ورؤية كونية متكاملة، لا يسع المنصف إلا أن يُقرّ أن هذا الكتاب ليس من صنع بشر[113]. ولو اجتمع الفلاسفة، والمشرّعون، والاقتصاديون، والنفسانيون، والفقهاء، لما استطاعوا أن يأتوا بشيء من مثل هذا التوازن الشامل.

إنه كتابٌ من لدن حكيمٍ خبير، يعلم من خلق، ويُدبّر الأمور، فلا خلل، ولا نقيصة، ولا غلو، ولا تقصير.

الخاتمة:

---

(110) الغزالي، محمد، *فقه السيرة*، ص11–13.

(111) دراز، محمد عبد الله، *دستور الأخلاق في القرآن*، ص11–20.

(112) Izutsu, Toshihiko, *Ethico-Religious Concepts in the Qur'an*, pp. 15–24.

(113) الندوي، أبو الحسن علي، *القرآن في حياة الأمة*، ص57.

وبعد الجولة في بيان تعدد معنى كلمة القرءان لغة واصطلاحا، وإبراز أوجه كونه معجزة خالدة صالحة لكل زمان ومكان، وذكر أنواع المعجزة وأشراطها، والفرق بين المعجزة والإعجاز القرآني، توصل الباحثان إلى نتائج أهمها مايلي:-

- أن لفظ "القرآن" في اللغة يحمل دلالات واسعة تجمع بين الجمع، والتلاوة، والضم، وكلها تتلاقى مع طبيعته الجامعة الشاملة.
- أن مفهوم الإعجاز القرآني لا يقتصر على الجانب البلاغي، بل يتسع ليشمل الإعجاز الغيبي والتاريخي والعلمي والنفسي والتشريعي، مما يدل على طبيعته المتعالية عن زمن النزول.
- أن القرآن الكريم يُعدّ أعظم معجزة خالدة للنبي محمد ﷺ، معجزةٌ عقلية مستمرة لا تنقضي بانقضاء زمان أو مكان، وتستبقي فاعليتها التحدّية إلى يوم الدين.
- أن أوجه الإعجاز الغيبي والتاريخي فيه ثبتت بشواهد صحيحة متواترة، وأصابت أهدافها بدقة، بما يدلّ على صدق الرسالة ونبوة الرسول ﷺ.
- أن الإعجاز البياني ما يزال هو الأصل الجامع في التحدي، لكنه ليس الوحيد، بل تشكّلت حوله منظومة إعجازية متكاملة تشمل العقل والنفس والكون والواقع والتاريخ.
- أن من خصائص المعجزة القرآنية أنها تخاطب العقل والوجدان معًا، وتجمع بين الحجة البيانية والبرهان الواقعي والشاهد الغيبي، مما يجعلها مؤثرة في مختلف أنماط المتلقّين.

التوصيات والاقتراحات

انطلاقا مما تبيّن للباحثَين من دلائل الإعجاز القرآني في أبعاده البيانية والغيبية والعلمية، وفي ضوء الدراسة التحليلية للقرآن الكريم كمعجزة خالدة وشاملة تتحدى العقول والقلوب والزمان والمكان، فإنّ هذه الورقة توصي بما يلي:

- **إحياء دراسة الإعجاز القرآني في المناهج الأكاديمية المعاصرة**، بما يراعي تنوّع وجوه الإعجاز وتكاملها (البياني، الغيبي، العلمي، العقلي، التشريعي، النفسي)، وإبرازها في صورة شاملة تُخاطب العقل الإنساني بلغة العصر، دون إخلال بالمنهجية العلمية الأصيلة.

- **تعزيز البحث العلمي المتخصص في الإعجاز العلمي والغيبي في القرآن الكريم**، من خلال ربط النصوص القرآنية بالاكتشافات العلمية الحديثة ربطًا واعيًا، يقوم على قواعد علمية ومنهجية دقيقة، ويُراعي أصول التفسير ومعايير التأويل.
- **تأسيس مراكز بحثية متخصصة في "دراسات المعجزة القرآنية"**، تضمّ علماء في التفسير، والبلاغة، والعلوم الطبيعية، والتاريخ، وعلم النفس، لمواصلة اكتشاف كنوز القرآن وربطها بالواقع العلمي والإنساني المعاصر.
- **العمل على إنتاج محتوى إعلامي عالمي متعدد اللغات** يسلط الضوء على وجوه الإعجاز القرآني، ويخاطب مختلف الفئات (طلبة العلم، عموم الجمهور، غير المسلمين) بأسلوب رصين، يجمع بين العمق والبساطة، وبين الأصالة والعصرنة.
- **تشجيع المؤتمرات والملتقيات الدولية حول موضوع "القرآن كمعجزة خالدة"**، لتبادل الخبرات، وتطوير الآليات المعرفية والمنهجية لعرض معاني الإعجاز، وخاصة في ظل التحديات الإلحادية والتشكيكية المعاصرة.
- **إدماج مفهوم الإعجاز القرآني ضمن برامج التربية الإيمانية للأطفال والناشئة**، من خلال مناهج تفاعلية تُنمّي لديهم الثقة بعظمة هذا الكتاب، وتربطهم به ربطًا وجدانيًا وعلميًا.
- **إعادة تأصيل الفرق بين المعجزة والإعجاز**، لتصحيح المفاهيم لدى الدارسين، وتثبيت أن القرآن الكريم ليس مجرد آية لحظية، بل معجزة دائمة تُتلى وتُفهم وتُتدبر، وتُثبت صدق الرسالة المحمدية إلى يوم الدين.
- **تسليط الضوء على شخصية الرسولﷺ في سياق المعجزة القرآنية**، بوصفه حامل هذه المعجزة، ليُستكمل التصور الكامل لحجّية الرسالة النبوية من خلال الجمع بين دلالة النص والإخبار، ودلالة السيرة والشخصية.
- **تشجيع الباحثين على الاستفادة من النماذج التي عرضها المقال**، كوجوه الإعجاز الخمسة (البياني، الغيبي، العلمي، الحفظ والتأثير، والنظام الكوني)، بوصفها منهجًا شاملاً لدراسة معجزة القرآن بشكل منظّم ومتناسق.

الدعوة إلى تعظيم القرآن في النفوس بتفعيله في الواقع، لا بمجرد دراسته نظريًا، بل بجعله مصدرًا للهداية الفردية والاجتماعية والحضارية، انطلاقًا من فهمه ككلمة الله الخالدة، لا كتراث لغوي أو تاريخي فحسب.

المصادر والمراجع

- المصادر العربية

1. أبو النور، محمد، أصول الفقه الإسلامي، دار النهضة العربية، القاهرة، ط1، 1993م.
2. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن، دار العاصمة، الرياض، ط1، 1994م.
3. ابن حبان، محمد بن حبان، الثقات، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1973م.
4. ابن سعد، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1957م.
5. ابن عطية، عبد الحق، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م.
6. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس، ط1، 1997م.
7. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر، القاهرة، ط1، 1997م.
8. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي السلامة، دار طيبة، الرياض، ط2، 1999م.
9. ابن هشام، عبد الله بن يوسف، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، دار الفكر، بيروت، د.ط.
10. ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، دار المعرفة، بيروت، د.ط.
11. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ط.
12. ابن حزم، علي بن أحمد، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط2، 1996م.
13. ابن فارس، أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، 1991م.

14. البيهقي، أحمد بن الحسين، دلائل النبوة، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1985م.
15. الجبرين، عبد الله بن عبد الرحمن، المعجزات النبوية، دار الوطن، الرياض، ط1، 1999م.
16. الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، د.ط.
17. الحسيني، إبراهيم صالح الشريف، الجواهر الحسان، دار ابن كثير، بيروت، ط1، 2000م.
18. الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط.
19. الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، 1943م.
20. الزركشي، محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1971م.
21. الزركشي، محمد بن عبد الله، البحر المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.
22. السباعي، مصطفى، روائع القرآن، المكتب الإسلامي، دمشق، ط3، 1993م.
23. السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974م.
24. السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت، د.ط.
25. الصالحي، محمد بن يوسف، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993م.
26. الطيار، مساعد بن سليمان، المحرر في علوم القرآن، مركز الدراسات القرآنية، ط1، 2010م.
27. القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964م.
28. القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط4، 1973م.
29. الفراء، يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وآخرين، دار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، 1955م.

30. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الرسالة، بيروت، ط8، 2005م.
31. الندوي، أبو الحسن علي، الرسالة المحمدية، دار القلم، دمشق، ط3، 1991م.
32. الندوي، أبو الحسن علي، النبوة والأنبياء، دار القلم، دمشق، ط2، 1989م.
33. الندوي، أبو الحسن علي، القرآن في حياة الأمة، دار القلم، دمشق، ط2، 1998م.
34. الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 2003م.
35. دراز، محمد عبد الله، النبأ العظيم، دار القلم، دمشق، ط6، 1994م.
36. دراز، محمد عبد الله، دستور الأخلاق في القرآن، دار القلم، دمشق، ط2، 2000م.
37. سعيد حوى، الأساس في السنة وفقهها (السيرة النبوية)، دار السلام، القاهرة، ط1، 2006م.
38. محمد الغزالي، فقه السيرة، دار القلم، دمشق، ط1، 1992م.
39. محمد رجب البيومي، المعجزة والإعجاز، دار القلم، دمشق، ط2، 2001م.
40. دخيل، دخيل بن عبد الله، إقراء القرآن، دار المحدث، الرياض، ط1، 2012م.
41. تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م.

- المصادر الأجنبية

1. **Arthur Gilman**, The Saracens, G.P. Putnam's Sons, New York, 1887.
2. **George Sarton**, Introduction to the History of Science, Williams & Wilkins Company, Baltimore, Vol.1, 1927.
3. **Kenneth Cragg**, The Event of the Qur'an, Oneworld Publications, 1994.
4. **Maurice Bucaille**, The Bible, The Qur'an and Science, American Trust Publications, 1978.

5. **Régis Blachère**, Le Coran, Maisonneuve et Larose, Paris, 1949.
6. **Toshihiko Izutsu**, Ethico-Religious Concepts in the Qur'an, McGill-Queen's University Press, 2002.